# ١٧ ـ محاورات أفلاطون

## الحوار الثالث

# فيدون أو خلود الروح

### ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

ـ ولكن الروح التي قد أصابها الدنس ، والتي تكون كدرة عند انتقالها ، والتي ترافق الجسد دائماً ، وتكون خادمته ، والتي تغرم وتهيم بالجسد ورغبات الجسد ولذائذه حتى ينتهي بها الأمر إلى العقيدة بأن الحقيقة لاتكون إلا في صورة جسدية ، يمكن الانسان أن يلمسها ، وأن يراها ، وأن يذوقها ، وأن يستخدمها لأغراض شهواته ـ أعني الروح التي اعتادت أن تنفر من المبدإ العقلي ، وأن تخافه وتتحاشاه ، ذلك المبدأ الذي هو للعين الجسمانية معتم تستحيل رؤيته ، والذي لايدرك إلا بالفلسفة وحدها ـ أفتحسب أن روحاً كهذه ستر حل نقية طاهرة ؟

فأجاب : يستحيل أن يكون هذا

ـ إنها قد استغرقت في الجسدي ، وقد أصبح ذلك طبيعياً بالنسبة لها ، لاتصالها المستمر بالجسد ، وعنايتها الدائمة به

ـ جد صحيح

ـ ويحق لنا يا صديقي أن نتصور أن هذه هي تلك المادة الأرضية الثقيلة الكثيفة ، التي يدركها البصر ، والتي بفعلها تغشى الكآبة مثل هذه الروح ، فتنجذب هبوطاً إلى العالم المرئي مرة أخرى ، لأنها تخاف مما هو خفي ، وتخاف من العالم السفلي ـ فتظل محومة حول المقابر واللحود ، إذ ترى بجوارها ـ كما يحدثوننا ـ أشباحاً طيفية بعينها ، لأرواح لم تكن قد رحلت نقية ، ولكنها ارتحلت مليئة بالمادة المنظورة فأمكن رؤيتها (١)

ـ يغلب جداً أن يكون ذلك يا سقراط

ـ نعم ياسيبيس ، فأغلب الظن أن يكون ذلك ، ولا بد أن تكون هاتيك أرواح الفجار لا أرواح الأبرار ، هؤلاء الفجار الذين كتب عليهم أن يجوبوا في مثل تلك المواضع جزاء وفاقا بما اقترفت سبيلهم في الحياة من إثم ، فلا ينقطع تجوابهم ، حتى تشبع الرغبة التي تملؤهم ، ثم يسجنون في بدن آخر ، وقد يُظن أن تلازمهم نفس الطبائع التي كانت لهم في حياتهم الأولى

ـ أي الطبائع تريد يا سقراط ؟

ـ أريد أن أقول إن من اندفعوا وراء الشره والفجور والسكر ، ولم تدُر في خلدهم فكرة اجتنابها ، سينقلبون حميراً وما اليها من صنوف الحيوان . فماذا ترى أنت ؟

أرى أن ذلك جد محتمل

وهؤلاء الذين اختاروا جانب الظلم ، والاستبداد والعنف ، سينقلبون ذئاباً أوصقوراً أو حدأة ، وإلا فالى أين تحسبهم ذاهبين ؟

فقال سيبيس : نعم ، إن ذلك ، ولا ريب ، هو مستقر تلك الطبائع التي تشبه طبائعهم

فقال : وليس من العسير أن نهيئ لهم جميعاً أمكنة تلائم طبائعهم وميولهم المتعددة

فقال : ليس في ذلك عسر

ـ وحتى بين هؤلاء ترى فريقاً أسعد من فريق ، فأولئك الذين اصطنعوا الفضائل المدنية والاجتماعية التي تسمى بالاعتدال والعدل ، والتي تحصل بالعادة والانتباه ، دون الفلسفة والعقل ، أولئك هم أسعد نفساً ومقاماً . ولم كان أولئك هم الأسعد ؟

لأنه قد يُرجى لهم أن يتحولوا إلى طبيعة اجتماعية رقيقة تشبه طبيعتهم ، مثل طبيعة النحل أو النمل ، بل قد يعودون مرة ثانية إلى صورة البشر ، وقد يخرج منهم أناس ذوو عدل واعتدال

ـ ليس ذلك محالاً

ـ أما الفيلسوف ، أو محب التعلم ، الذي يبلغ حد النقاء عند ارتحاله ، فهو وحده الذي يؤذن له أن يصل إلى الآلهة ، وهذا هو السبب ، أي سمياس وسيبيس ، في امتناع رسل الفلسفة الحق عن شهوات الجسد جميعاً ، فهم يصبرون ويأبون أن يُخضعوا أنفسهم لها — لا لأنهم يخشون إملاقاً ، أو يخافون لأسرهم دماراً ، كمحبي المال ، ومحبي الدنيا بصفة عامة ، ولا لأنهم يخشون العار والشين اللذين تجلبهما أعمال الشر كمحبي القوة والشرف

قال سيبيس : لا يا سقراط ، إن ذلك لا يلائمهم

(١) يقصد بذلك أن الأشباح التي يراها الناس عند المقابر ، إن هي إلا أرواح من ذلك الضرب الذي انغمس أثناء الحياة في المادة انغماساً ، ففارقت الأجساد دنسة ملوثة بالمادة ، فشق عليها أن تعيش في ذلك العالم الطاهر النقي ، عالم الأرواح الخفية ، فهبطت إلى الأرض مرة أخرى ، وأمكن للعين رؤيتها

فأجاب : حقاً إنه لا يلائمهم ، وعلى ذلك فاولئك الذين يعنون بأرواحهم ، ولا يقصرون حياتهم على أساليب الجسد ، ينبذون كل هذا ، فهم لن يسلكوا مايسلك العُمْى من سبل ، وعندما تعمل الفلسفة على تطهيرهم وفكاكهم من الشر ، يشعرون أنه لا ينبغى لهم أن يقاوموا فعلها ، بل يميلوا نحوها ، ويتبعوها إلى حيث تسوقهم

ـ ماذا تعنى يا سقراط ؟

قال : سأحدثك . إن محبي المعرفة ليدركون عندما تستقبلهم الفلسفة أن أرواحهم إنما شُدت إلى أجسادهم وأُلصقت بها ، ولا تستطيع الروح أن ترى الوجود إلا خلال قضبان سجنها ، فلا تنظر اليه وهى فى طبيعتها الخاصة ، إنها تتمرغ فى حمأة الجهالة كلها ، فاذا ما رأت الفلسفة ما قد ضُرب حول الروح من قيد نخيف ، وأن الأسيرة تنساق مدفوعة بالرغبة إلى المساهمة فى أسر نفسها (لأن محبي المعرفة يعلمون أن هذه كانت الحالة البدائية للروح ، وأنها حين كانت فى تلك الحال ، تسلمتها المعرفة ، ونصحتها فى رفق ، وأرادت أن تحررها ، مشيرة لها بأن العين مليئة بالخداع ، وكذلك الأذن وسائر الحواس ، لتحملها على التخلص منها تخلصاً تاماً ، إلا حين تدعو الضرورة إلى استخدامها ، وأن تتجمع وتتفرغ إلى نفسها ، وألا تثق إلا بنفسها وما توحى به اليها بصيرتها عن الوجود المطلق ، وأن تشك فى ما يأتيها عن طريق سواها ، ويكون خاضعاً للتغير ) ، فالفلسفة تُبَيّن لها أن هذا مرئى ملموس ، أما ذلك الذى تراه بطبيعتها الخاصة فعقلى وخفىّ ، وروح الفيلسوف الحق تظن أنه لا ينبغى لها أن تقاوم هذا الخلاص ، ولذا فهى تمتنع عن اللذائذ والرغبات ، والآلام والمخاوف ، جهد استطاعتها ، مرتئيةً أن الانسان حينما يجوز قدراً عظيما من المسرات أو الأحزان أو المخاوف أو الرغبات ، فهو لا يعانى منها هذا الشر الذى تقدره الظنون — كأن يفقد مثلاً صحته أو متاعه ، مضحياً بها فى سبيل شهواته — ولكن يعانى شراً أعظم من ذلك ، هو أعظم الشرور جميعاً وأسوأها ، هو شر لا يدور فى خلده أبداً

قال سيبيس : وما هو ذلك يا سقراط ؟

ـ هو هذا : حينما تحس الروح شعوراً شديد العنف ، بالسرور أو بالألم ، ظننا جميعاً ، بالطبع ، أن ما يتعلق به هذا الشعور العنيف يكون عندئذ أوضح وأصدق ما يكون ، ولكن الأمر ليس كذلك

ـ جد صحيح

وتلك هى الحال التى يكون فيها الجسد أشد ما يكون استعباداً للروح

ـ وكيف ذلك ؟

ـ لأن كل سرور وكل ألم يكون كالمسمار الذى يسمّر الروحَ فى الجسد ، ويربطها به ، ويستغرقها ، ويحملها على الايمان بأن ما يؤكد عنه الجسد أنه حق فهو حق ، ومن اتفاقها مع الجسد ، وسرورها بمسراته ذاتها ، تراها مجبرةً على أن تتخذ عادات الجسد وطرائقه نفسها ، ولا تُنتظر ألبتة أن تكون الروح نقية عند رحيلها إلى العالم السفلى ، فهى مشبعة بالجسد فى كل آن ، حتى أنها سرعان ما تنصب فى جسد آخر ، حيث تنبت وتنمو ، ولذا فهى لا تساهم بقسط فى الإلهىّ ، والنقىّ ، والبسيط

فأجاب سيبيس : ذلك جد صحيح يا سقراط ؟

وهذا يا سيبيس هو مادفع محبي المعرفة الحق أن يكونوا ذوى اعتدال وشجاعة ، فهم لم يكونوا كذلك ، لما تقدمه الحياة الدنيا من أسباب

ـ لا ، ولا ريب

ـ لا ، ولا ريب ! فليست تفكر روح الفيلسوف على هذا النحو ، إنها لن تطلب إلى الفلسفة أن تحررها ، لكى تستطيع ، إذا ما تحررت ، أن تلقى بنفسها مرة أخرى ، فى معترك اللذائذ والآلام ، فتكون بذلك كأنها تعمل ما تعمل ، لا لشىء إلا لكى تعود فتنقضه ، وكأنها تنسج خيوطها — كما فعلت پنلوب[1] — بدل أن تعمد إلى حلها ، ولكنها ستتخذ من نفسها عاطفة راكدة ستتأثر بخطوِ العقل ، فتلازمه لتشاهد الحقيقىّ والإلهىّ (وهو ليس موضوعاً للرأى) ومن ثم تستمد غذاءها ، وهى تحاول بذلك أن تحيا مادامت فى الحياة ، وتأمل أن تلتمس ذوى قرباها بعد الموت ، وأن تتحرر من النقائص البشرية ، أى سمياس وسيبيس ، أن تتبدد روحٌ كان ذلك غذاءها ، وكانت تلك آمالها المنشودة ، عند انفصالها عن الجسد فتذروها الرياح ، وتصبح عدما ليس له وجود

( يتبع ) زكى نجيب محمود

(١) پنلوب هى زوجة أوليس ، التى كانت تنقض فى الليل ما قد نسجته فى النهار ، لتكسب وقتاً من خطابها